

صندوق الذكريات

هو ذلك الصندوق العتيق

المصنوع من خشب السنديان

وله مفصلات من حديد علاها الصداً

وعليه قفل كبير من نحاس

تحوّل لونه الأصلي إلى الرصاصي

وهو موضوع أسفل جدار قديم

من جدران المصدر ،

فی أقرب مكان للقلب ..

* [] *

وحین تضغط علينا قسوة الحياة

بمشاغلها اليومية

ولما نجد من أصدقائنا

من نفضض إليه بمواجعنا

نمشی إلى ذلك الصندوق

بكل الرهبة والخشوع

وننفض من فوقه الغبار

ثم نفتحه بهدوء شديد

ونخرج ما به من صور وأوراق :

المصور لأحبائنا الذين رحلوا

إما إلى بلاد بعيدة ،

أو عن الدنيا كلها

وهي لنا تظهر ملامحهم بوضوح

لأنها التقطت

أيام كان التصوير بالأبيض والأسود

ولأنهم كانوا يجلسون مذهشين

ولما يكادون يبتسمون !

أما الأوراق

فهي خطابات وقصاصات

تأكلت أطرافها مع مرور الزمن

لكنها ما زالت تنبض ببعض الحياة

وهی تتحدث عن المشوق إلینا

والمساعدة بقرب لقائنا

فی حین أن خطاباتنا نحن إلیهم

لم تعد للأسف موجودة

وکیف توجد ..

وقد ذهبت إلیهم فی أماكنهم البعيدة

واختفت باختفائهم ؟!

* □ *

فی الصندوق أيضا

بعض اللعب الصغيرة

من أيام الطفولة

وكل لعبة ما زالت تحمل ذکراها الخاصة بها

وتشير إلى لحظة زادرة

من لحظات السعادة الخاطفة

بعضها من البرونز

وبعضها الآخر من البلاستيك

والعجيب أنها لم تفقد بريقها

وظلت كما هي

وسط الأوراق المتهرئة

لكي تكون شاهدة

على أن أيام الطفولة

لم تكن كلها بائسة ،

ولما حزينة !

* □ *

أما ساعة اليد

التي توقفت تماما عن العمل

فأنا لا أنسى لحظة حصولي عليها

كان ذلك في عهد الحب الأول

وقد بذلت جهودا مضنية

لكي أجعل أسرتي تشتريها لي

وما أن وضعتها في معصمي

حتى أسرعرت إلى بيت حبيبتي

التي أعجبتها كثيرا

وهذا أتني قائلة :

— إنها فعلا ساعة جميلة .. مبروك !

[]

لكن أغلى ما فى الصندوق

هو خاتم الفضة

الذى اسود لونه من عدم الاستعمال

وعليه نقش للحرف الأول من اسمى

قدمته لى حبيبتي

عندما أهديتها سلسلة مفاتيح

وقد ظللت ألبسه لعدة سنوات

حتى بعد أن تزوجتُ

وأنجبتُ

وافترقت بنا الدروب

ولم أخلعه من اصبعى

إلما حين اقترب موعد زواجى ..

[]

من بين أوراق الصندوق

خطاب تعيينى فى الحكومة

وشهادة تأدية الخدمة العسكرية

وخطاب الموافقة على بعثتى للخارج

وكارت بوسثال من أحد أساتذتى

وتذكرة من ماكينة ميزان

تشير إلى أن وزنى سنة 1970

كان فى حدود سبعين كيلو !

[]

ليست هذه هي المرة الأولى .

ولما الثانية ، أو الثالثة ..

التي أفتح فيها صندوق ذكرياتي

بل لعلها المرة المائة

وكلما قلّبت محتوياته

كنت كمن يراها لأول مرة

وأكاد أؤكد أن المرحلة داخل الصندوق

تغسل القلب من همومه

وتزيح من فوقه الكثير من الإحباط.

والمأس ، وضيق النفس !

من هنا كان وما يزال حرصى على الصندوق

ليس فقط لأنه يضم جزءا عزيزا من الماضى

ولكن لأنه أيضا ..

يعتبر التلة التى أصعد عليها

لكى أرى منها ما قد يأتى فى المستقبل ..
